**تاريخ اوربا في عصر النهضة**

**المحاضرة الرابعة عشر م.م. يسرى عماد الطه**

**اسبانيا و ثورة الاراضي المنخفضة :**

بعد صلح اوجزبرج في عام 1556 اعتزل الامبراطور شارل الخامس الحكم و تنازل عن جميع تيجانه و نفى نفسه منعزلاً في احد الاديرة و قسم املاكه بين اخيه فرديناند و ابنه فيليب

1. اصبح فرديناند امبراطوراً للدولة الرومانية المقدسة و اصبحت النمسا و المجر و بوهيميا تحت حكمه
2. اما الممتلكات الاخرى فكانت من نصيب ابنه فيليب الثاني الذي اصبح ملك اسبانيا ( 1556-1598 ) و ايضاً استولى على البرتغال بالوراثة عام 1580 و امتد سلطانه الى الاراضي المنخفضة و امارة برجنديا الحرة .

كانت السلالة المالكة الاسبانية اعظم نفوذ من السلالة النمساوية .

كان فيليب الثاني كاثوليكياً متعصباً يساند الكنيسة الكاثوليكية و قد اخذ على عاتقه قيادة الحركة الكاثوليكية المضادة و اعادة مجد المذهب الكاثوليكي لا في املاكه فقط بل بالعالم كله

كان من نتائج الانقسام الديني في اوربا :

1. ظهور مصلحين معادين للكنيسة الكاثوليكية و يعتنقون مبدأ الكفاح و المقاومة في سبيل العقيدة .
2. وجود قوتان تتصارعان من اجل العقيدة احداهما بروتستنتية كلفنية و مقرها جنيف و اخرى كاثوليكية مقرها روما
3. ادى هذا الصراع الى زج العديد من الدول الاوربية في حروب دينية عنيفة منذ منتصف القرن السادس عشر و حتى نهاية القرن السابع عشر

كانت الاراضي المنخفضة من ضمن الميادين التي اندلعت فيها الثورات التي اختلط فيها النضال الديني باتلنضال السياسي و كانت اعظم الثورات في اسبانيا في عهد فيليب الثاني فقد افضت بعد حروب طاحنه الى تكبيدها خسائر كبيرة بالاموال و الارواح .

كانت الاراضي المنخفضة تشمل سبع عشرة مقاطعة حصل عليها في القرن الخامس عشر ادواق برجندية ثم اصبحت تابعة للتاج البريطاني بزواج الامبراطور مكسمليان ماري برجندية ثم ورثها عنه حفيذه شارل الخامس ثم ابنه فيليب .

الا انها برغم كونها جزء من الامبراطورية الا انها تخضع لسلطانها المطلق لما فطر عليه اهلها من حب الحرية و الاستقلال و لذلك كانوا يتعرضون للاظطهاد و خصوصا في عهد شارل الخامس الذي استغل مواردهم في سد حاجة الامبراطورية .

كان من اهم الاهداف التي يسعى اليها زعماءها هو توحيد حكومات تلك المقاطعات و لكن الخلاف الديني و السياسي و العواطف القوميه كلها كانت تحول دون ذلك ، اذ كان سكان المقاطعات الشمالية يدينون بالمذهب البروتستانتي و معظمهم من الجنس التيتوني و يرغبون بالحكم الديمقراطي ، بينما كان سكان الجنوب يتبعالكنيسة الكاثوليكية في روما و ينتسبون الى الجنس الكلي و يرغبون في اوتوقراطية الحكم .

عند تولي فيليب الثاني الحكم في الاراضي المنخفضة كانت فكرة الاتحاد المشترك و ضرورة قيام كيان واحد فيها تتسلط على اذهان عدد كبير من المفكرين و سنحت الظروف لهذه الفكرة ان تنمو و تتطور و تصبح ثورة هدفها التخلص من الحكم الاجنبيي او الاسباني في الاراضي المنخفضة .

عاش فيليب الثاني في الاراضي المنخفضة فترة طويله حتى عام 1559 الا انه طول هذه الفترة كان همه القضاء على المذهب البروتستانتي فقد كان يعتقد ان توحيد الملك لا يأتي الا بتوحيد الدين .

الاخطاء السياسية التي ارتكبها فيليب الثاني :

1. عند تركه الاراضي المنخفضة لم ينصب عليها حاكماً من ابنائها بل عهد الى اخته مارغريت دوقة روما 1559-1567 .
2. عين موظفي الحكومة كلهم من الاسبان و وضع فيها قوات اسبانيا فساء بذلك حال البلاد
3. اتسم عهده بالبطش و الغلظه مما دعم عوامل الثورة في ذلك العهد .
4. كانت السلطة الحقيقية في يد الكاردينال جرانفلا البرجندي الذي كان حائزاً على ثقة فيليب الثاني و مشهوراً بشدته و طغيانه .
5. بدأ التذمر الحقيقي في الاراضي المنخفضة عندما اتسعت دائرة الحروب التي خاضتها اسبانيا و اضطرت الى مطالبة البلاد التابعة لها بالمساهمة بالمال و الرجال .
6. اتسعت سلطات محاكم التفتيش التي كان والده قد ادخلها من قبل الى الاراضي المنخفضة مما اثار سخط الشعب من الكاثوليك و البروتستانت على تلك المحاكم ..

كان فيليب يتوقع قيام الثورة و قام بارسال قوات عسكرية الى الاراضي المنخفضة مما زاد في الشعور القومي ضد الحكم الاسباني و لكن ما ان شعر فيليب بالخطر الحقيقي قام بسحب القوات و صرف النظر عن فرض الضرائب الفادحة و تخفيفها ، الا ان ذلك لم يرجع المعارضة بل اخذ يشدها و ينذرها بقيام الثورة .

و في الوقت نفسه انتشرت مبادئ كلفن الدينية و تحمس لها المواطنون ، و قابلت الحكومة هذه الحركة بكافة وسائل القمع و الاضطهاد ، و كانت الاحكام التي تصدرها محكمة التفتيش تنفذ بكل قسوة و قوة ، فظهرت فئة من الشباب و انظم اليهم عدد كبير من النبلاء و الاحرار الذين كان هدفهم مقاومة اسبانيا و افو جمعية لقبوها ( بالحلف ) و اعلنوا ان اهم اهدافهم هو مقاومة محاكم التفتيش و المطالبة بالغائها و التخلص من التحكم الاسباني في الاراضي المنخفضة .

تزعم الحركة القومية ( الحلف ) ثلاثة رجال :

1. وليم اورنج وليم الصامت
2. الكونت اجمونت
3. امير البحر هورون

و اقوى هؤلاء الزعماء شخصية و اقدرهم هو وليم اورنج .اذ تربى في بلاط الامبراطور شارل الخامس و كان محبوباً منه منه ، و عينه شارل الخامس في اخر ايامه حاكماً على مقاطعة هولندا و زيلندا و اترخت ، لكنه في عهد فيليب الثاني كان متذمراً من اسلوب الحكم الاسباني و عزم على مساعدة كل حركة قومية ترمي الى طرد الاسبان من الاراضي المنخفضة .

و في سنه 1563 تقدم النبلاء الثلاث بطلب الى الملك فيليب الثاني يطلبون فيه طرد جرانفل و قد استجاب لهم فيليب بعد تردد شديد ، و بالرغم من ذلك لم يغير فيليب سياسته تجاه الاراضي المنخفضة و استمرت محاكم التفتيش تتعقب البروتستانت و الحكم بالحرق على كل من تحوم حوله شبهة التعرض للمذهب الكاثوليكي .

و اثارت قسوة الاحكام كلاً من البروتستانت و الكاثوليك على السواء و انضم عدد لا يقل عن 500 من النبلاء من كلا المذهبين الى الحلف الذي يطالب بالغاء محاكم التفتيش و وقف الاضطهاد الديني و بذلك تعزز مركز المعارضة في الاراضي المنخفضة .

ذهب عدد كبير من اعضاء الحلف الى حاكمة البلاد مارغريت لتقديم الاحتجاج على ادخال محاكم التفتيش الاسبانية ، مما اثار مخاوف الاميرة الا ان احد رجال حاشيتها شجعها قائلا ( لا تخافي من هؤلاء الشحاتين .

**الثورة و اعقابها :**

بعد ان قام اعضاء الحلف باللجوء الى حاكمة البلاد مارغريت لتقديم احتجاج الشعب ، رفضت الحكومة اجابت مطالبهم ، فانفجرت على اثر ذلك الثورة التي اندلع لهيبها في البلاد و امتدت الى الجماهير البروتستنتية و معظمهم من الكلفنيين المتعصبين و كان الثورة :

1. تخريب الكنائس و الاديرة و نهب ما فيها فخلال اسبوع واحد تحطمت اربعمائة كنيسة و نزعت الصور من اماكنها و تحطيم الزجاج المزين بالالوان و سلبت كؤوس القربان المقدس الذهبية .
2. لم تقتصر الثورة على مدينة بعينها بل انتشرت عبر البلاد حتى وصلت الى امستردام و انتورب و غيرها .
3. كان عماد هذه الثورة التخريبية عناصر الطبقات الكادحة من فلاحين و عمال .
4. اختلطت دوافع العقيدة الدينية بالدوافع الاقتصادية و الظلم الاجتماعي بسبب سوء احوالهم في كل المجالات .

و في هذه الاوضاع التي جاءت بها الثورة من تخريب الكنائس و الاديرة الكاثوليكية فقدت الثورة الدعم الكاثوليكي و وقفو ضد الحلف الذي يجمعهم مع البروتستانت ضد الحكومة و تراجع عدد كبير من النبلاء سواء الكاثوليك او البروتستانت غير المتعصبين الذين رأو ان اتباعهم تمادو في ثورتهم حتى لم يعد بمقدورهم السيطرة عليهم .

اما موقف مارجريت من الثورة : فقد كانت خائفة من تفاقم الثورة و كانت على وشك الفرار خارج البلاد لولا ان وليم اورانج نصحها بالبقاء و وجدت التشجيع من النبلاء الذين دعموها في القضاء على الثوار و استعادة النظام فما كان منها الا انتهاز فرصة سخط معظم الشعب على عنف الثورة و حركات التخريب و سحبت وعودها التي قطعتها للنبلاء الذين التمسو الغاء محاكم التفتيش و ارسلت عدة فرق عسكرية للمحافظة على الامن في المقاطعات الكاثوليكية .

اما موقف فيليب الثاني فقد ازعجه ما حدث من انتهاك لحرمة الكنائس و صمم على الانتقام لا من الثوار فحسب بل ايضاً من اولئك النبلاء الذين ساندو الثورة ضد الجكومة في بادئ الامر ، و عند علم وليم اورنج غادر البلاد الى احد ضياعه بالمانيا في ابريل 1567 تاركاً زملائه اجمنت و هورن لقدرهما . و بذلك نجا من المصير الذي كان محتوما عليه لو بقي في البلاد ايام الانتقام .

اقام فيليب في الحال محكمة التفتيش في الاراضي المنخفضة و سير اليها احد قواده العظام وهو الدوق الفا و قد عرف الفا بالقسوة و البطش و لقب فيما بعد جلاد الاراضي الواطئة ، ووصل الدوق الى البلاد على رأس جيش من الاسبانيين و الايطاليين و كان وصوله نذيراً بارتكاب كل محرم في سبيل اخماد الثورة و القضاء على زعمائها .

عهد فيليب الى دوق الفا سلطات واسعة مما جعل مارجريت تفضل اعتزال الحكم و مغادرة البلاد ، فاصبحت السلطة كلها له

اول قرار اتخذه هو تكوين هيئة للاضطرابات سميت بمجلس الدم و سلطتها اعلى سلطة قضائية في البلاد حيث لا مرد لاحكامها و كان اعضائها جميعهم من الاسبان ، و قدم الاف من سكان البلاد للمحاكمة و قضت باعدامهم ، حتى ان الدوق كان يتفاخر بان خلال حكمه قام باعدام 18600 مواطن بالبلاد المنخفضة و فر ثلاثة اضعاف هذا العدد من البلاد اغلبهم توجه الى انجلترا .

اما ما يخص اجمنت و هورن فقد لاقو حتفهم من غير محاكمة عادلة اما وليم اورنج فقد رفض العودة الى البلاد للمثول امام مجلس الدم .

اعلن وليم اورنج نفسه امير من امراء اوربا و لذلك لا يمثل امام محكمة غير شرعية و نشر على الناس ادعاءه الذي سماه التبرير عام 1568 و استعرض فيه جميع الاحداث في الاراضي المنخفضة و ترجمت رسالته الى عدة لغات و وزعت في جميع انحاء اوربا .

ماهو تأثير هذه الاحداث على وليم اورنج :

جعلته يخرج من صمته الى العزم و التصميم على تحرير شعب الاراضي المنخفضة من الظلم و الجور و استطاع ان يجمع جيش يهاجم به دوق الفا ، و على الرغم من انه كان يدرك عدم استطاعته منازلة القوات الاسبانية المتدربة و لكنه اعتمد على حماسة الجنود الذين وهبو انفسهم للمعركة ضد الطغاة الاسبان .

غير ان حماسة الجند وحدها لم تكن كافية لاحراز النصر ، اذ ظهر تفوق القوات الاسبانية على قوات وليم التي ارسلها تحت قيادة اخيه لويس .

و تمكن دوق الفا من النصر و حكم البلاد بالحديد و النار و فرض الضرائب الفادحة على السكان ليبعث بها الى اسبانيا التي كانت في اسوأ حالاتها الاقتصادية و اصبح الاهالي في محنه شديدة و تعطلت حركة التجارة و كسدت الموارد فعم السخط و ساد الكساد .

ما هي نتائج الاعمال التي قام بها دوق الفا ضد شعب الاراضي المنخفضة :

اضطر الكثير من السكان الى الهجرة الى البحر و انضموا الى ملاحي سفن صيد الاسماك و قرصان البحر و اتخذ الجميع القرصنة وسيلة للهجوم على السفن الاسبانية و يهاجمون الموانئ الصغيرة في الجهات الموالية لها في الاراضي المنخفضة ، حيث كانوا ينقضون عليها فجأة و ينتهكون حرمة الكنائس يخربونها و يسلبون ما فيها من نفائس و يذهبون لبيعها في ميناء دوفرعلى الساحل الجنوبي الانجليزي ، كانت انجلترا تساعدهم في بادئ الامر و تحميهم الا انها بعد ذلك تخلت عنهم لاسباب سياسية .

كان يرأس القراصنة الذين اطلق عليهم اسم شحاذي البحر ( وليم دي لامارك ) الذي هاجم باسطوله سواحل زيلندة و استولى ثغر بريل الحصين عام 1572 ، و يعتبر استيلاء شحاذي البحر على هذا الثغر بداية للحركات التي ترتب عليها ظهور الجمهورية الهولندية .

قام الاسبان في مقابل ذلك باجراءات انتقامية شديدة العنف و صادروا الاملاك كتدابير لما يقوم به الثوار من عنف و نهب و نشطت محاكم التفتيش في اصدار احكام التعذيب و الحرق و الشنق

و لم يزد ذلك الشعب الا زيادة السخط على الاسبان و عزمهم على المضي في الثورة حتى يجلو اخر جندي اسباني و كانت الثورة على اشدها في شمال البلاد حيث قرر نواب من ولايات هولندا و زيلنده و اترخت و جلرلاند تنصيب وليم اورنج رئاسة الولايات الشمالية و دعوه الى قيادة قواتهم .

كان النجاح في اول الامر يبدو مستحيل ، اذ كان من العسير ان تتغلب حفنة من الجنود غير المدربين على جيوش دولة كبيرة اسبانية ، و لكن طبيعة البلاد التي يحاربون فيها قد ساعدتهم مساعدة فعالة ، فقد كان الثوار في حروبهم ضد الاسبان يتجنبون التواجه معهم في ميدان مكشوف بل يتحصنون داخل مدنهم المنيعة و عندما يحاصرون يلجأون الى هدم الحواجز و السدود التي بنيت لتقي بلادهم من البحر فتطلق المياه منها على القوات الاسبانية المحاصرة لهم فتشتت شملها .

و ايضاً ساعد ثوار الاراضي المنخفضة ان اسبانيا رغم قوة جيشها كانت تعاني انذاك ازمة اقتصادية شديدة نتج عنها عجزها في الانفاق على قواتها حتى ان كثيرا ما مرت الشهور تلو الشهور دون ان تدفع مرتبات الجنود ، اضافة الى ان حروب الاراضي المنخفضة لم تكن المسألة الوحيدة التي تشغلها بل انها كانت منشغلة في حروب اخرى ضد فرنسا و انجلترا .

و بهذه العوامل استطاع الهولنديون الكالفنيون بصبرهم و ثباتهم و صمودهم ان ينجحوا في انتزاع جزء كبير من الاراضي المنخفضة و يؤسسوا فيه حكومة مستقلة .